

النجف وحياتها العلمية والأدبية

إن جميع الأمم على اختلاف طبقاتها إنما تتقدم وتسمو وتنمو فيها بذور العز والشرف والمجد والرفي بحياتها العلمية والأدبية وذلك ما نشاهده من تقدم الغرب وبعض الأقطار الشرقية كـ مصر والعراق وأخص منها وطني العزيز النجف الأشرف

إن من درس حياة النجف منذ البدء أي وقتما انتقل إليها الدور العلمي يشاهد الحالة العلمية والأدبية فيها تسير بين آونة وأخرى بخطوات واسعة نحو الأمام جرياً على سنن النشوء والارتقاء في العلم والأدب كما هو شأن الأصقاع العلمية كلما مر عليها زمن أو عصر احدثت شكلاً مهماً في التطور الروحي والارتقاء إلى ذروة الرفة والعلاء

والنجف اليوم هي العاصمة الكبرى والكلية الزاهرة بنجوم الفضل والكمال كما هي بالأمس فقد تخرج منها في العصور الماضية من الأساتذة العظام والفلاسفة المفكرين ما يعجز البراع عن عددهم فمن أولئك السيد الأكبر السيد مهدي بحر العلوم الذي سارت بذكره الركبان وطبق الكون شهرة بعالمه وفوائده الجليلة

ومنهم الأستاذ الأعظم الشيخ المرتضى فقد حفظ له التاريخ ذكراً شريفاً هو لا يزال باقياً حتى اليوم وهذه آثاره الجليلة تتداول بين كبار المشتغين من طلاب العالم الشريف ودونك الشيخ الجليل صاحب كتاب جواهر الكلام فقد مثل في عصره دوراً مهماً في العلم والمعارف وقد تخرج عنه عشرات من الأساتذة المشهورين وكثير أمثال هؤلاء ممن لهم الأثر السامي في العلوم الفلسفية والدينية من لا يسمع المجال ذكرهم بصورة موجزة فضلاً عن استقصاء ما أثرهم المشكورة

وفي عصرنا اليوم ممن تخرج من تلك الكلية من زعماء الدين وقائدي زمام الشيعة الكثير من أولئك وفي طليعتهم الإمام الأكبر علم الأمة الإسلامية وعميدها اليوم السيد أبو الحسن الأصفهاني فقد قام بواجبه أحسن قيام من التدريس ونشر العلم

والاصلاحات الدينية المهمة وغير ذلك

ومنهم العلامة الاستاذ حجة الاسلام الشيخ النائيني فقد كان له الأثر العظيم بين طلاب العلم وذوي المعارف بتقريراته الأصولية ودروسه الجليلة وكتابات البديعة التي ترجمت حديثاً عن الفارسية (في الاستبداد والديمقراطية) ونشرت في (العرفان) الغراء ومن هؤلاء حامل لواء العلم والدين ومحبي الشريعة المحمدية معدن الفصاحة والبلاغة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء . ولعلي أتوفق لترجمة هذا الرجل العظيم وماله من الآثار الجليلة المهمة في جميع الأقطار الإسلامية

أما الحياة الأدبية في النجف فلا يستطيع الكاتب ان يوقف السامع على صورة واضحة منها بمقال او اكثر فضلاً عن كلمة موجزة كهذه . واني أقدم كلمتي هذه للقراء الكرام في ترجمة الشاعر الكبير السيد الجبوبي ليكون نموذجاً للأدب النجفي ان اقوم مثال للعالم والأدب والحياة والعاطفة هو العلامة الاستاذ السيد الجبوبي فقد كانت مخبئات نفسه وخيالاته العذبة التي أودعها بشعره الحي تمثل لنا حياته بأبهى مثال وتنبئنا عن اسرار نفسه وعقيدته في الحياة . هذا السيد حينما نتصفح تاريخ حياته تتجلى لنا نفسيته وما انطوت عليه من الأخلاق والكمال . كان رحمه الله يعتقد ان النفس المندسة بجراثيم الأنانية والحمول والمنتمة لعادات مزمنة وتقاليد مهلكة هي العضو الاشل في المجتمع البشري فيجب آتئذ أن يدرس الإنسان مبادئ الحياة الراقية ويغرس في نفسه حب الكمال والخير فيخرج حينئذ من هوة الجهل الفاضح إلى الأوج الرفيع . ان من سمع شعر السيد ورضي بالصورة الظاهرة منه يخال أن نفسيته كانت منحصرة بين الناي والعود والروض والمدام ولكن يسخر الرائي من نفسه حينما ينظر ما يقول :

هو من دون الهوى مرتني
عفة النفس وفسق الألسن
لا ولا استسقيتهن إلا كوسا

ان لي في شرفي برداً ضفا
غير اني رمت نهج الظرفا
لست بالغيد مشوقاً مغرماً

أو تصيني العواني . . . الخ

هذا أمر وهناك أمر آخر يحدثنا عنه في شعره الغرامي المملوء حياة وجمالاً انه يمثل لنا عاطفته الخفية وخياله العميق في الحب واسراره فصور لنا اندفاعات الحب ابداع تصوير ووصف لواعجه اصدق وصف حتى كأنه من الكائنات المحسوسة التي تلمسها اليد وتبصرها العين قال (ره) مخاطباً لحبيبه

كأما رمت أعاصيك الزمام
جذبتني سورة الحب اليك

ولم نجد احداً طبع على شاكاة السيد في تصوير منازع النفس سوى (جوته) الالماني في روايته آلام (قرتر) و (لامرتين) الفرنسي في رفايل ، قال جوت على لسان قرتر (قد تمر بي لحظات اشعر فيها بالقدرة على وضع ذلك العبا الذي أنقض ظهري وناء به ولو كنت أدري أين اذهب لذهبت ولكن لا أعلم لي مغدى ولا مراحا) . قال السيد (ره)

روحي في روحك ممزوجة
وربما تمزج روحان
حتى كأنني منك في وحدة
لو صحح أن يتحد اثنان

وقال لامرتين على لسان رفايل (فهل يوجد إلى جانب هذه السعادة التي لا تقدر ولا تعبر وذاك الطموح المشرك والهوى المتبادل الذي جعل من افكارنا وعواطفنا ونفوسنا وحدة لا تعدد ، وكلا لا يتجزأ ، وجمعاً لا يتفرق كأشعة هذه الشمس التي تغرب وذاك القمر الذي يلوح حينما يتقابلان في السماء)

وعندنا اليرم من الشعراء الذين حلقوا في سماء الأدب وتقدموا إلى الذروة العالية في العلم والفضيلة هم الأساتذة الشرقي والشيبني والجواهرمي وأنا لننكر على الاستاذين الشرقي والشيبني اعتزالها الشعر ولكن للشعراء عقيدة خاصة في حياتهم ليس لنا حق في التعرض لها ، منها تكن بيد اننا نناجي الآله ونسأله أن ين علينا بجمل القيود عن هذين الشاعرين فينفعنا شعبيهما بأرائيهما الفللفية وشعرهما الحلي . وهناك كتلة من الشباب الذئفي قد اقلت عن غاربها قيد الجمود والخمول ونهضت نهضة أدبية فسعت وراء إيجاد (رابطة أدبية علمية) وها هي اليوم تتقدم للشعب فيها بيت الدعاية الأدبية ونشر العلم والثقافة فنسأل الله أن تكون مصحوبة بالخير والنجاح والسعادة والاقبال

الذئف

محمد حسن الصوري